

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة الحادية عشرة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل عدة حلقات بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الدرس الخامس من دروس الحكمة للشباب حيث تحدثنا عن نتائج معرفة حكمة الله أو خلاصه، وأهمها سلام الله الذي يملأ القلب. ثم تأملنا بخمسة أمثال قصيرة تمس حياتنا العملية. وختم الدرس بثلاث مقارنات هامة بين الشرير والصديق.

من هو مثالك صديقي المستمع؟ ومن هو الشخص الذي تحاول أن تتشبه به وتقلده؟ هل هو ممثل سينمائي معروف؟ أم بطل رياضي؟ أم شخصية بارزة في المجتمع؟ أم هو قائد سياسي معجب بأرائه؟ لكن من هو الشخص الذي يجب أن يكون فعلاً مثالك؟

كتب سليمان الحكيم في الدرس السادس للحكمة إلى الشباب قائلاً: "اسمعوا أيها البنون تأديب الأب وأصغوا لأجل معرفة الفهم. لأني أعطيتكم تعليماً صالحاً فلا تتركوا شريعتي. فإني كنت ابناً لأبي غضاً ووحيداً عند أمي. وكان يريني ويقول لي ليضبط قلبك كلامي. إحفظ وصاياي فتحيا. اقتن الحكمة. لا تنس ولا تعرض عن كلمات فمي. لا تتركها فتحفظك أحببها فتصونك. الحكمة هي الرأس. فاقتن الحكمة وبكل مقتناك اقتن الفهم. ارفعها فتعليك. تمجدك إذا اعتنقتها. تعطي رأسك إكليل نعمة. تاج جمال تمنحك." (أمثال ٤: ١-٩)

يوجه سليمان الحكيم كلامه في هذا الدرس السادس، إلى الشباب في مقتبل العمر. فيدعوهم لكي يسمعوا ويلتفتوا إلى كلام الأب أو إلى المعلم الصالح، وأن يحاولوا الإصغاء لمعرفة الفهم. فالأب أو المعلم يقدمان للشباب الإرشاد الصحيح، ويهدفان لخير أولادهما أو تلاميذهما الأدبي والروحي. لعلّ السؤال الآن: من هو المعلم الحقيقي الذي يجب أن يسمع له الشباب في هذه الأيام؟ هل هو البطل السينمائي؟ أم البطل الرياضي؟ أم معلم في مذهب ما؟ أم شخصية مرموقة؟

لقد أجابنا المخلص المسيح عن هذا السؤال عندما قال: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احمّلوا نيري عليكم وتعلّموا مني. لأنّي وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هيّن وحملّي خفيف." (بشارة متى ١١: ٢٨-٣٠) فماذا قصد المخلص المسيح من هذا الكلام؟

هل سمعت يا صديقي عن أحد من الأنبياء أو الفلاسفة يدعو الناس لكي يأتوا إليه ويتعلّموا منه ويجعلوه مثلاً لهم؟ فلو لم يكن المخلص المسيح عالماً بحقيقة شخصيته، وواثقاً من نفسه، لما تجرأ على الإدلاء بهذا التصريح الخطير. إن المخلص المسيح يدعو جميع المتعبين والثقيلي الأحمال لكي يأتوا إليه ويتعلّموا منه. فهو المعلم الحقيقي الصالح الذي يجب أن نتبعه ونتعلّم منه. فهو كلمة الله الأزلي الذي أتى من السماء وتجسّد وصار إنساناً مثلاً لنا، لكن من دون خطيئة، وذلك لكي يعلمنا التعليم الصالح، وليصبح مثلاً لنا.

لقد أكد المخلص المسيح أنه سيعطي الراحة الحقيقية لكل نفس تعبئة ومثقلة بأحمال الخطيئة أو الذنوب. فعندما يأتي الإنسان إليه تائباً فهو سيمنحه الغفران الكامل عن ذنوبه، ويهبه الحياة الروحية الجديدة، ويصبح من أولاد الله. ودعانا المخلص المسيح لكي نتعلّم منه باستمرار، وأن يصبح هو مثلاً لنا، فهو الوحيد الوديع والمتواضع القلب، والذي نجد عنده راحة النفس. ونستطيع أن نتعلّم من المسيح عندما نقرأ كلمة الله الحيّة كما جاءت في الإنجيل المقدس. لأن كلام المسيح فيه الحياة والإرشاد الصحيح.

وهو ما أكده سليمان الحكيم في الآيات المقدسة التي قرأناها قبل قليل عندما قال: "ليضبط قلبك كلامي. احفظ وصاياي فتحيًا." (عدد ٤) إن كلمة الله تجدد القلب وتنعشه من الداخل، ووصايا المخلص المسيح وكلامه يحيي الإنسان من جديد. ولنلاحظ أيضاً قول سليمان الحكيم عن الحكمة أو كلمة الله: "اقتن الحكمة. اقتن الفهم. لا تنس ولا تُعرض عن كلمات فمي. لا تتركها فتحفظك أحببها فتصونك." (أعداده ٦ و ٦)

هل تعلم يا صديقي أن كلمة الله تحفظك من الوقوع في الشر؟ وهل تدرك أنها تصونك من كل ما هو فاسد؟ فهل تلمي مستمعي دعوة المخلص المسيح؟ وهل تأتي إليه وتتخذة مخلصاً لك من ذنوبك وآثامك؟ وهل تجعله معلّمك الصالح الذي تنهل منه الحياة وكل ما هو مفيد لحياتك؟ وهل يصبح هو مثالك الذي تحاول أن تقتدي به؟

صديقي المستمع، عاد سليمان الحكيم ليكرر ما قاله في بداية سفر الأمثال، أن الحكمة أو خلاص الله هي الرأس، أي هي الأساس أو البداية فقال: "الحكمة هي الرأس. فافتن الحكمة وبكل مقتناك افتن الفهم." (عدد ٧) ولهذا دعا الشاب لكي يفتني الحكمة والفهم، ومهما كلفه ذلك من ثمن باهظ.

وختم سليمان الحكيم الدرس السادس من دروس الحكمة للشباب قائلاً عن الحكمة: "ارفعها فتعلّيك. تمجدك إذا اعتنقتها. تعطي رأسك إكليل نعمة. تاج جمال تمنحك." (أعداد ٨ و ٩) إن الحصول على الحكمة أو خلاص الله تعلّي الإنسان وتمجده، أي تحليّه بالكرامة، وتجعل حياته ناصعة. وليس هذا فحسب بل إن خلاص الله يزيّن الإنسان، فيكون كإكليل نعمة وتاج جمال فوق رأسه. فعندما يختبر الإنسان خلاص الله يصبح إنساناً جديداً، يبتعد عن أعمال الشر، ويسلك في طريق الخير والصلاح، ويغدو أمثلة وقدوة للآخرين. وهذا ما يزيّن حياته.

صديقي المستمع، ألا تود أن تتال الحكمة الحقّة وتحصل على خلاص الله؟ إن المخلص المسيح يدعوك اليوم لكي تأتي إليه، وليصبح هو مخلصك ومعلّمك ومرشدك. فهل تأتي إليه تائباً ومؤمناً من كل القلب؟